

أثر التطور في الأنساق المعرفية في تجدد البلاغات الخطابية الحجاجية

The Impact of Evolution in Cognitive Systems on the Renewal of Rhetorical Argumentative Discourse

ط.د: صالحى زينة^{1*}, أد / مدلل نجاح

1- جامعة الوادي (الجزائر) Salhi-zina@univ-eloued.dz

2- جامعة الوادي medallal-nadjah@univ-eloued.dz

تاريخ النشر: 2024/12/22

تاريخ المراجعة: 2024/12/02

تاريخ الإيداع: 2024/10/01

ملخص:

نروم في هذا المقال البحث في التطورات التي مسّت مباحث البلاغة في القرن العشرين، حيث تمكّن بعض الباحثين من إحياء التراث اليوناني في أبعاده الفلسفية والبلاغية التي رسّخها أرسطو ومن تبعه من البلاغيين، وأعادوا دراستها والبحث فيها وفق التطورات العلمية والمنهجية التي عرفها العصر الحديث، ممّا أدّى إلى ازدهار بلاغة الحجاج، وقد كانت هذه الأبحاث تهدف إلى التّوصل إلى الأسند النظري والتّطبيقي الذي يمدّ الحقل النقدي والتداولي المعاصر باستراتيجيات تحليل الخطاب؛ لأنّ البلاغة هي الجهاز الأقدر على فهم وإنتاج الخطاب تخيلاً وتداولاً، و سنحاول التوضيح كيف أولت البلاغات المختلفة دوراً أساسياً للحجاج في مختلف مقارباتها وانشغالاتها وجعلته بعداً رئيسياً من أبعاد الخطاب الإنساني. الكلمات المفتاحية: البلاغة-الأنساق-الجديدة-بيرلمان-الخطابية-الحجاجية.

Summary:

In this article, we aim to research the developments that have affected the research of rhetoric in the twentieth century, where some researchers were able to revive the Greek heritage in its philosophical and rhetorical dimensions, established by Aristotle and his followers from the rhetoricians, and re-studied and researched in accordance with the scientific and methodological developments known to the modern era, which led to the flourishing of and we will try to explain how different communications have given a fundamental role to pilgrims in vIn this article, we aim to research the developments that have affected the research of rhetoric in the twentieth century, where some researchers weretative.

*المؤلف المراسل.

لا ريب في أنّ اللغة بعدّها نظاما تواصليا يحقق النزعة الاجتماعية التي تميّز بها الإنسان عمّا سواه من الكائنات قد لفتت انتباه الفلاسفة والمفكرين منذ القدم؛ لذا حظيت بالدراسة المكثفة التي سعت إلى اكتشاف البنية الجوهرية لنظاميتها¹، ووظائفها على رأسها الوظيفة التواصلية التي لا جدال حولها، "فحدّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"² في التعريف الشهير للغوي ابن جني (ت392هـ) في خصائصه، وظلّ هذا المفهوم سائدا ومتداولاً في عديد الأبحاث نظراً لأهميته وإبراز الوظيفة التواصلية للغة إلى غاية حدوث تطوّرات إبستمولوجية على الساحة المعرفية بشكل عام، واللغوية بشكل خاص وبات اليوم الحديث عن الوظيفة الإقناعية التأثيرية للغة أكثر من ضرورة لأنّ الحجاج أصبح هو كذلك من المكونات الأساسية للخطاب، والأدبي منه على وجه الخصوص. فمذ أنّ تأكّد أنّ اللسانيات هي العلم الجديد الذي يهتم بدراسة اللغة دراسة علمية موضوعية بذاتها ولذاتها على يد اللغوي فريدينال ديسوسير، والتي أحدثت محاضراته وخاصة ثنائياته ثورة جذرية في التفكير اللغوي والنقدي منهجا ومادة، ممّا أدّى إلى ظهور الدّراسات اللسانية الحديثة باتجاهاتها الكبرى البنوية والتوليدية التحويلية والتداولية، ولأنّ سلوك استخدام اللغة يعدّ من أكثر السلوكيات التي يظهرها الإنسان تعقيداً وبراعة، فقد زاد الاهتمام باللغة زيادة كبيرة للكشف عن جميع جوانب الدرس اللغوي، ومحاولة الإجابة عن الإشكاليات الكبرى التي اكتنفت اللغة واستعمالها والتي قد كانت عصيّة على البحث إلى فترة غير بعيدة من الزمن. «بيد أنّ التّحوّلات المعرفية التي انفجرت مع منتصف القرن العشرين أظهرت أنّه يتعدّد الاستمرار في تجاهل قضايا الاستعمال اللغوي، فجاءت أبحاث جون لانشو أوستين Austin.J.L (1911-1960م) المنشورة سنة 1962م³ وأبحاث تلميذه جون سيرول John.Searle لتعلن عهداً جديداً في الدراسات اللسانية، وتؤرخ لثورة منهجية على اللسانيات البنوية»⁴.

ومع نهاية القرن الماضي توسعت اهتمامات التداولية لتطال موضوعات أخرى لها صلة مباشرة بالاستخدام الفعلي للكلام كاستراتيجية الخطاب، واقتضاء الكلام والحجاج اللغوي. وقد شكّل الحجاج ضرورة إنسانية على الدوام في التفكير الحضاري لدى الأمم.

أولاً: في مفهوم البلاغة :

يعدّ البحث في الحجاج من نتائج التحول العميق الذي اكتنف الدرس البلاغي الحديث، وكان من نتائجه أن تخلّت البلاغة عن نزعتها المعيارية في فرض القواعد، لتهتم برصد القواعد فقط، كما يرى رولان بارت بقوله عن البلاغة بأنّها أصبحت: "تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة كتحليل الخطاب والأسلوبية والقراءة"⁵ لتتحوّل البلاغة بهذا من لغة الموضوع إلى لغة واصفة، وهو ما جعلها تسترد الوصف العلمي لتحتلّ المقام الأوّل في البحث والدراسة، وقد كان من أهم أسباب هذا التحوّل العميق هو التغيّر الجذري الذي مسّ البحوث اللسانية بشكل عام. لقد كشف تجدد الاهتمام بالدرس البلاغي في العصر الحديث عن طروحات علمية مغايرة أدّى إلى ظهور ما يسمى بالبلاغة الجديدة حيث إنّ البلاغة "لم تعد محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم، بل تنزع لتصبح علماً واسعاً للمجتمع" حسب قول هنريش بليت⁶، ليصبح الحجاج مكوّناً بارزاً في الخطاب الإنساني أكثر من أيّ وقت مضى، حيث منذ أنّ طوّر الإنسان لنفسه سبلاً للتواصل مع بني جنسه، أنتج كلاماً عادياً وآخر بليغاً، ثمّ كتب بذلك نصوصاً بليغة شعراً ونثراً، وحين تأمل ممارساته القولية وضع لها قواعد وإرشادات بشأن تعليمها للآخرين، واخترع من أجل ذلك علوماً عدّة من بينها علم البلاغة، وتعدّ البلاغة من العلوم المتميّزة التي تقتزن بخصيص لا وجود للبشر دونها وهي العلامات اللغوية وغير اللغوية التي تنجز الإقناع والتأثير والجمال؛ إذ لا يمكن تصور حياة بلا إقناع ولا تأثير ولا جمال قول.

وعلى خلاف الثقافة الغربية القديمة لم تكن نشأة البلاغة في الموروث العربي القديم سياسية محضة، حيث يجدر بنا أولاً أن نُشير إلى تلك البدايات الأولى لنشأة علوم العربية، التي ولدت وترعرعت في خضم التحول الحضاري والفكري الذي أحدثه القرآن الكريم في البيئة العربية انطلاقاً من الشعور بمعجزة البناء اللغوي على المستويين الدلالي والتركيبى لهذا النص. من هاهنا بدأ التفكير في النسق الترميزي من ناحية، والتفكير في وضع معايير للحفاظ على النطق السليم من ناحية أخرى، وذلك كله حسب ما تقتضيه الكفاية اللغوية للمتكلم المستمع العربي في البيئة اللغوية المتجانسة⁷.

وبهذا فإنّ العمل الأبرز أترا والذي كان له صلة وثيقة بنشأة الدرس البلاغي العربي والتأصيل له هو دراسة أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ونظمه، إضافة إلى ذلك المؤلفات التي تضمّنت الرد عن المشككين والمضللين الذين وجهوا أسهمهم لانتقاد الخطاب القرآني، ونجد هذا في عديد مصنفات علماء البلاغة القدماء، ونخص بالذكر (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (ت276هـ)⁸، ويعدّ هذا العامل من أهم العوامل التي ساهمت في نشأة الدرس البلاغي العربي كعلم واصل بين فعالية الفهم والإفهام، والإقناع، إذ يمكننا أن نعزو عوامل نشأة البلاغة في الثقافة العربية والإسلامية إلى عامل ديني تمثّل في مدارس النص القرآني فهما واستنباطا ودفاعاً وتدوّقا، والعامل الآخر عامل فني تمثّل في الاهتمام بالشعر كيف لا وهو ديوان العرب من خلال عدّة مباحث كتصوير أساليب القدماء في الشعر، والبحث في الأغراض الشعرية، وطبقات الشعراء، وجدلية النثر والشعر وغيرها من المباحث البلاغية، كما اهتموا بمواضيع أخرى مثل (اللفظ والمعنى)، (الفصاحة، البيان، البلاغة)، (المجاز والحقيقة) عبر مصنفات أسهمت في تأسيس الدرس البلاغي العربي بدءاً من بديع ابن المعتز (ت296هـ)، مروراً بعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) من خلال كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) وقد ألفهما الجرجاني ليبيّن إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر، ويعدّ من مؤسسي علم البلاغة في العربية بفضل أبحاثه المهمة كنظرية النظم، وصولاً إلى صاحب العلوم السكاكي (ت626هـ) الذي ربّ الفنون البلاغية ترتيباً منهجياً في القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) الذي بسط فيه علوم البلاغة بسطاً منهجياً كعلم له أصوله ومباحثه⁹.

ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أنّ للبلاغة اتجاهاً كبيراً في الفكر الغربي وهما: الاتجاه الحجاجي الإقناعي الذي يصب في اهتمامات المباحث التداولية الحديثة، والاتجاه التعبيري الشعري الذي يلتقي مع مباحث الأسلوبية.

وأما الحديث عن البلاغة في الفكر العربي فمن نافلة القول أنّ البلاغة في التفكير اللغوي العربي القديم شأنها كشأن بقية العلوم الأخرى اللغوية والفقهية التي نشأت وترعرعت في رحاب القرآن الكريم الحدث الأكبر في هذا الكون ونزوله في تلك الفترة في شبه الجزيرة العربية كان له صدّى كبيراً في قلوب العرب وأسماعهم فانهمارهم بهذا الكلام المعجز الذي نزل يخاطبهم بلغتهم ولسانهم أعجزهم بأن يأتوا ولو بأية من آيه أو سورة من سوره، وراحوا يتساءلون عن سرّ إعجازه البياني هل مناط هذا الإعجاز لفظه أم تراكيبه، أم أساليبه، أم نظمه وهم أرباب اللغة وأسياد الفصاحة، فكان البحث في سرّ إعجاز القرآن الكريم وصوّنه من اللحن وتفشي الخطأ البداية لحركة التدوين والتأليف في الحضارة العربية الإسلامية. والبلاغة كغيرها من العلوم الإنسانية واللسانية لم تدوّن قبل ظهور الإسلام ولكنها كانت حاصلة لديهم بالفطرة، والعرب كانوا يتوارثون هذه القدرة الكامنة جيلاً عن جيل. أما إذا أردنا البحث في تحديد مصطلح البلاغة وحدّها فقد تجلّى لنا أثر الالتباس بين التخيل والتداول لدى الرّواد الأوائل الذين تعددت مفاهيم البلاغة لديهم، وقد تتبّع المسدي ملامحها عند الجاحظ (ت255هـ) فتوصّل أنّ لها ستة استعمالات عامة وهي: استعمال لسانی عام، مفاده مجرد الحدث اللغوي، انسجام فيوزولوجي فكري يتمثّل في الانسجام الزمني بين الدّوال والمدلولات، استعمال منطقي لسانی يهدف إلى الإقناع، استعمال لغوي نفسي هدفه التأثير، استعمال أسلوبى يدور حول تضمن

الكلام لخصائص تمييزية يتحوّل بها من مجرد إبلاغ رسالة لسانية إلى مادة من الخلق الفني، وأخيرا استعمال لا لسانی، يتمثل في تنوع الأداء كالكسوت والإشارة وغيرهما، ونحن إذ نتبع دلالات المصطلح عند الجاحظ نلمح وجود البعد التداولي في الاستعمال المنطقي اللساني الهادف للإقناع. وقد أجمل العمري هذه الدلالات في ثلاثة محاور وهي: المحور الإخباري المعرفي التعليمي وهو إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام، والمحور التأثري وذلك بتقديم الأمر على الاستمالة وجلب القلوب، والمحور الحجاجي وهو إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار. إن البحث في نشأة وتطور البلاغة عند العرب القدماء، بإمكانه أن يكشف لنا عن ملامح واتجاهات الدرس البلاغي حينها والذي يمكننا تقسيمه كمايلي:- البيان القرآني والمسائل البلاغية الأولى.-تطور البلاغة العربية والانتقال من الملكة الفطرية إلى العلم الواصف، وهذه المرحلة ازدهرت عن طريق:*الخلافات العقائدية والجدل الكلامي.*تطور البحث اللغوي وتأسيس النظرية اللغوية العربية.*فهم القرآن الكريم ومسائل الإعجاز.*الحركة الشعرية ومذاهب الفن.*الوافد الأجنبي وفهم العرب للبلاغات الأخرى.ومما سبقو إذ نحاول تقديم مفهوم للبلاغة نجد أنفسنا في مساءلات بين القديم والجديد أي بلاغة، أم بلاغة عامة كما يقول ربول¹⁰، أم بلاغات خاصة؟ -لاشك- أنّ الدرس البلاغي درس متعددة مداخله، متنوعة أوجه تناوله، ومرّد ذلك إلى التشعب الذي تميّز به البلاغة ومفاهيمها، والسعة التي تسم مباحثها.وهذا الأمر لا تنفرد به البلاغة العربية، بل هو سمة عامة ميّزت الدرس البلاغي عربيّه وغربيّه، فقد أشار العمري إلى أنّ أكثر من باحث غربي رأى أنّ البلاغة قريبة من مجال اهتمامه ف(تودوروف)و(ديكرو) ربطاها بالأسلوبية، و(بيرلمان) جذبها صوب الحجاج، و(فان داك) نحى بها منحى نصيبا، و(جان كوهن) نظر من خلالها إلى الشعرية. وسبب هذا التنافس أنّ البلاغة ملقّت كثير من الفنون التي أسهمت في إرساء دعائمها، واستفادت في الوقت نفسه من الأفاق التي ما فتئ سؤال البلاغة يرتادها باستمرار.وقد ترتب على هذا التماس بين البلاغة والعلوم الأخرى تعدّد في مفهوم مصطلح البلاغة نفسه، وهذا التعدّد ليس مقتصرًا في الثقافة العربية، بل وجد العمري مصطلح (ريطورية) المقابلة لمصطلح بلاغة أو الخطاب في العربية، يتردّد بين ثلاثة مفاهيم كبرى، بل أضف إلى هذا أنّ المصطلح كغيره لم يقع في إشكال مفهومه القديم فقط، بل تعدّد ترجمته للغة العربية في الأبحاث المعاصرة¹¹:- المفهوم الأرسطي: الذي يخصّصها لمجال الإقناع وآلياته.-المفهوم الأدبي: الذي يجعلها بحثًا في صور الأسلوب.-المفهوم النّسقي: الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخيل والحجاج معا.وهذا المفهوم الأخير يمكن عدّه جسرا رابطا بين مجال نظرية الأدب من جهة، ومنطق الحجاج من جهة أخرى، حيث إنّ الباحثين لاحظوا التداخل بين هاذين المجالين مع منتصف القرن العشرين، ثمّ اكتشف المحققون منهم أنّ هنا علما "عتيقا" كان يهتم بالخطاب في كليته في بعديه التخيلي الأدبي، والحجاجي المنطقي وهو البلاغة، وبذلك عاد البحث البلاغي للواجهة مستفيدا من المنجزات العلمية في المجال اللساني والفلسفي والمنطقي.وقد غلب على البلاغة القديمة في مرحلة من مراحلها طابع البحث في الصور والأساليب وانحصر الجانب التداولي، فكانت البلاغة الجديدة محاولة لاسترجاع البعد الفلسفي التداولي الذي تقلّص بفعل توسّع البعد الأسلوبي.وقد عملبلاغيونغربيونبعدهالحرالعالميةالثانيةعلماستثمارالأفقالعالمالذي أفادت بهالريطوريةالقديمية في اتجاهين هما:اتجاهحجاجيواتجاهأخرأسلوبي؛وذلكقبالأنيظهرتوجهأخرذوطابعسيمائيفياتجاهالخطابعامة .

تمإعادةالبلاغةالقديميةكمباحث جديدةلبناء "بلاغة جديدة" وحديثةلأسبابعدة .

وقد كانت البلاغة التقليدية في التراث اليوناني بمثابة عدّة منهجية يتزود بها الخطيب أو الكاتب في الحوارات الجدلية والسياسية والقضائية والمناظرات الفلسفية والأدبية والنحوية، أمّا في التراث العربي القديم فقد كانت البلاغة تهتم بطرح إشكاليات أرقّت العلماء واللغويين والأصوليين كمسائل الإعجاز القرآني، والإنشاء والخبر، والحقيقة والمجاز، وغيرها من المواضيع المهمة التي

تميّزت بها البلاغة العربية، ولكنني حقيقة الأمر أنّ البلاغة الغربية حظيت بالتأسيس والتقنين منذ أول مرحلة لها، والأكيد أنّ الصراع الفلسفي/السفوسطائي ساهم في ازدهار الحجاج¹²، بل قد كان لهذا الصراع الضّاري فضائل لا تجد في نشأة وتطور بلاغة الحجاج، بينما كانت نشأة البلاغة عند العرب ملكةً وفطرةً عندهم في إنشاء الكلام، وقد نشأت بعدها ملكةً للتواصل إمتاعاً وإقناعاً، وتشارك في الحياة العامة والخاصة كما وصفها ابن خلدون في مقدمته.

ومما سبق نخلص إلّا أنّ البلاغة التي نتحدث عنها اليوم و هي بلاغة الخطابات الحجاجية كما يرى ليتش Leitch.V؛ بأنّ البلاغة: «تداولية في صميمها إذ أنّها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يتحرى إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما البعض»¹³. وذلك لأنّ بعض التداوليين المعاصرين يرون تقارباً شديداً بين مفهوم الحجاج الذي تطوّر منصميم الدرس التّداولي و مفهوم البلاغة التي تُعنى بالصّور والأشكال اللغوية القادرة على إحداث تأثير ينشده المتكلم في موقف محدّد. إضافة إلى ذلك أنّ برلمان قد سعى إلى تقديم مفهوم "البلاغة الجديدة" وذلك بدراسة أحد مواضيع البلاغة القديمة و إلى معرفة التقنيات القولية التي تمكّن من إثارة أو تنمية انخراط العقول في الأطروحات لأنّ الحجاج من وجهة نظر بيرلمان هو « درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»¹⁴.

وبهذا فإنّ الحديث اليوم عن البلاغة الجديدة وهي بلاغة الحجاج، لا يكفي حديثنا عن البلاغة المختزلة وفق تصوّر السكاكي (المعاني-البيان-البديع)، أو ما يمكن تسميته بالبلاغة المدرسية التعليمية، والحال أنّ أبحاث السكاكي ما هي إلّا إحدى المسارات الكبرى التي مرّت بها البلاغة العربية وهو المسار الذي ينطلق من الجاحظ ويصل إلى حازم القرطاجني عن ابن سنان¹⁵.

ثانياً: تاريخ البلاغة:

حسب أولبريخت تيتيكا فإنّ البلاغة تمتعت بتاريخ فكري شيق مرّت فيه بتقلبات مختلفة أفضت إلى زوالها شيئاً فشيئاً منذ أواخر العصور القديمة حتّى يومنا هذا، باستثناء ما حصل من عملية إحياء للبلاغة في عصر النهضة، فقد أخذ مجال عملها وتأثيرها بالتراجع والانحسار تدريجياً، فلم تترك الفلسفات العقلانية والتجريبية المهيمنة على الخطاب العربي الحديث من مكان للبلاغة باستثناء كونها مجرد تقنية technique في عرض وصياغة الأفكار بشكل نسقي، ولم تتوقف عملية تقويض البلاغة عند ذلك الحدّ، بل استمرت كما ذكرنا مع الحركة الرومانسية من خلا إعلائها لسمات الصفاء والصقّ والنيّة والعفوية المطلوبة عند كلّ فنان حقيقي ينبغي عليه أن يؤلف بين الكلمات بصورة طبيعية تماماً مثلما تعرّد العصفير، ونبذها للبلاغة بوصفها تقنية التركيب والتزيين الأسلوبية، وهو الدور الذي أدّى إلى اختزال البلاغة بشكل تدريجي، ولكنّ الأسلوبية بحكم نشأتها على هامش النحو أيّ بعدها انزياحاً، فإنّها تفتقر إلى البعد التداولي للخطاب، وهو ما أشار إليه هنريش بليث في كتابه (البلاغة والأسلوبية)- ولاشكّ- أنّ الأسلوبية أسهمت في تعميق البحث في الأساليب وتجاوزت المعيارية التي كانت البلاغة قد وقعت فيها من خلا أزماتها، ولكنّها لم تتمكن من تقديم إطار نظري يغطي "الخطاب الاحتمالي المؤثر" الذي تستوعبه البلاغة اليوم بشكل أوضح وأيسر كما يذكر العمري. وتعدّ سنة 1958 م محطة تاريخية في علم البلاغة الحديثة حيث أصدر كلٌّ من شايم بيرلمان وتيتكا مصنفهما حول الحجاج حيث استقا أفكارهما من آراء أرسطو، وهي سنة ميلاد مصطلح البلاغة الجديدة أو بلاغة الحجاج كما عبّر عنه صلاح فضل في كتابه بلاغة الخطاب وعلم النص¹⁶، حيث حاولا من خلاله إحياء البلاغة وإعادة بعثها من جديد، فقد أظهرنا من خلال هذا المؤلف بلاغة الحجاج في ثوب جديد غير الذي نشأت فيه إبان ظهورها، ويمثّل كتابهما (مصنف الحجاج البلاغة الجديدة)

أهم محاولة لتجديد النظرية الحجاجية الأرسطية.و من المهم أن نشير إلى أنّ البلاغة الجديدة تعبيرات بين الباحثين المعاصرين المهتمين بالدراسات البلاغية ونظريات تحليل الخطاب، ويتراوح استعماله أن يكون صفة أو اسماً، أما كونه صفة فهو الشائع في أدبيات العلم، ويقصد منه وصف لمسارات ومقاربات ومناهج وتوجهات بلاغية بالجدة مقارنة بأخرى سابقة عليها. أما إذا استعمل تعبير "البلاغة الجديدة" اسماً فإنه غالباً ما يشير إلى إسهام محدد من إسهامات دراسات الحجاج في النصف الثاني من القرن العشرين ونعني به كتاب شايم بيرلمان ولوسي أولبريخت تيتيكا عن الحجاج الذي يحمل عنوان "the new Rhetoric" وترجم إلى العربية ب: البلاغة الجديدة/الخطابة الجديدة/الخطابية الجديدة، حيث سعى بيرلمان في كتاب البلاغة الجديدة إلى تطوير الإسهام الأرسطي المؤسس لدراسات الحجاج، وأسهم في إثراء أحد موضوعات الدرس البلاغي على نحو جذري، لكن ما قدّمه بيرلمان ليس البلاغة الجديدة بإطلاق القول بالبلاغة لا تقتصر على دراسة الحجاج وحده، ودراسات الحجاج نفسها تطوّرت عبر العقود الأخيرة تطوّراً هائلاً متجاوزة ما قدمه بيرلمان وبمعزل عن إسهامه في كثير من الأحيان.

ثالثاً: تطوّر الأنساق المعرفية ودوره في تجدد بلاغة الحجاج:

ما يزال الحجاج من حيث شكل انتظامه موضوعاً دقيقاً عن الطرح مقارنة بالقصّ وقد يكون ذلك راجعاً إلى أنّ القصّ مأخوذ أكثر وهو يعرض أحداثاً إنسانية بشكل من أشكال الحقيقة المرئية الملموسة. وفي المقابل فإنّ الحجاج ليس له صلة إلا بمعرفة تحاول أن تحلّل التجربة الإنسانية من خلال بعض عمليات التفكير¹⁷، والدرس الحجاجي برز على الساحة المعرفية المعاصرة كنتيجة لتطور الأنساق المعرفية حيث نقصد "بنظرية الأنساق المتعددة (POLYSYSTEMES) والتي تتكون من كلمتين (POLY) بمعنى التعددية والكثرة والتنوع، (SYSTEME) الذي يحيل على مفهوم النسق أو النظام أو الحقل بمفهوم بيير بورديو¹⁸، وقد ظهرت نظرية الأنساق المتعددة في منتصف القرن العشرين ما بعد الحداثة كردّة فعل على الاتجاه البنيوي، وهي نظرية تؤمن بوجود أنساق معرفية متعدّدة ومتداخلة ومتفاعلة قابلة للتطور والتغيّر، وتمتاز بالديناميكية والوظيفية، من أبرز أعلامها: إيتمار إيفان زوهار، وآتي برسي وغيرهما. حيث اتسم المناخ الثقافي الغربي بالمعاصرة بحياة معقّدة، وكان من أبرز ميزاته التعدد والاختلاف في كافة الجوانب التي تكتنف الحياة

الإنسان فكرية كانت وأجتماعية أو سياسية، وفي ظل هذا الوضع ظهرت جملة من الاتجاهات والأحزاب والتيارات المختلفة بلوا المتصارعة فيما أغلب الأحيان، كلّ تيار يسعجهاه إلى الدعوة لتسقيها الفكر يومعتقد هالوجود في وجود تسودها الحرية والمقصود بالخطاب في هذا السياق هو خطاب التأثير والاستمالة والإقناع، وهو خطاب ضاربياً عمالقات التاريخ في التراث البلاغي العربي والغربي، إلا أنّهم استحضاره بشكل متطور ومزدهر مع "شايمبيرلمان (Chaïmperelman)" الذي اعتبر القرن العشرين قرن الترويج والدعاية¹⁹. حيث يرتبط مفهوم النسق المعرفي في الفكر الحديث كما ورد في كتاب بلاغة الخطاب وبلاغة النص لصالح فضل بالبحوث التي تقدمت دراسة الأطر الاجتماعية للمعرفة وما انتهت إلى المنصوارة تتكشف عن تغير أشكال المعرفة وعلاقتها عبر العصور المختلفة²⁰. وتأسس هذا المفهوم في بحث الظواهر الأدبية والبلاغية ضروري لمتابعة التحولات التي تفرضها الباحثون المعاصرون اتخاذ موقف منهجي

صحيحاً في التعامل مع الأدوات التي تقدم لدرستها، ومعرفة علاقتها ببقية وحدات المنظومة التي تستمد منها مقولاتها²¹، ونظرية الأنساق المتعددة هي نظرية نقدية وأدبية وثقافية بالدرجة الأولى، جاءت كنتيجة لسياق ما بعد الحداثة الذي يتميّز بالانفتاح على الذات والمرجع والسياق والتأويل والآخر... إلخ وتنطلق هذه النظرية من أنّ الخطابات نسق ثقافي ولساني وسيميائي عام، يتفرع إلى مجموعة من الحقول والأنساق الفرعية، ويتميّز النسق بثلاث خصائص أساسية وهي: الانفتاح والديناميكية والتهجين²². وبهذا فتجدد بلاغة الخطاب الحجاجية كان حتمياً للتطورات المعرفية للحياة المعاصرة، فقد اهتم بيرلمان مع تيتيكا في كتابه (المختصر في الحجاج) بتاريخ البلاغة في ضوء بعدها الحجاجي. ويعني هذا أن بيرلمان قد أسس بلاغة جديدة هي بلاغة الحجاج. وقد انتشرت

نظريته بشكل كبير في سنوات السبعين من القرن العشرين. ومن ثم، فقد بنى بيرلمان البلاغة المعاصرة على أسس حجاجية ومنطقية وفلسفية محضه، متأثراً في ذلك بأرسطو صاحب كتاب (الريطوريقا/ البلاغة). ويعني هذا أن بيرلمان قد تمثل المنهج الأرسطي في التعامل مع البلاغة في ضوء رؤية حجاجية إقناعية، مبتعداً عن تصورات أفلاطون الجدلية. وإن كانت البلاغة عند بيرلمان تطرح أكثر ما يطرحه أرسطو في كتابه (الريطوريقا). ويضاف إلى هذا، أن بيرلمان قد جدد البلاغة الغربية المعاصرة في ضوء آراء أرسطو، مع إضافة تصورات حجاجية جديدة.

الخاتمة:

- قد تبلورت ملامح البلاغة الجديدة، أو ما بات يصطلح عليه ببلاغة الحجاج في العصر الحديث مواكبة للتطور العلمي والمعرفي الذي يعد سمة العصر أسفر عنه تجدد البلاغات الخطابية الحجاجية.
- كما توصلنا في ختام هذا البحث الوجيز إلى إمكانية القول بعدم وجود بلاغتين قديمة وأخرى جديدة، بل ما جدّ على الساحة البحثية إنّما هو بعث وإحياء لجانب من الجوانب الأساسية الموروثة في تقاليد فن البلاغة التي حصر معناها إلى زمن غير بعيد بعنايتها بفن الكتابة ومعيارية القواعد، بينما البلاغة هي إمتاع وإقناع وجمال قول، وقوة عبارة، وجودة أسلوب والقدرة على استمالة القارئ والتأثير فيه.
- كما نعزو تجدد بلاغة الحجاج إلى ذلك التطور الحتمي للأنساق المعرفية في العصر الحديث حتى غدا الحجاج لغة العصر وهو من أبرز تطوّرات الجهاز المفاهيمي على الساحة البحثية المعاصرة بمختلف فروعها وعلى وجه الخصوص حقل الأدب والتّقد.
- وخلاصة القول في جديد البلاغة الحجاجية المعاصرة حسب مصنف بيرلمان و تيتكا في الحجاج أنّها تتمحور حول تحليل تقنيات الحجاج وهذه التقنيات يتم بسطها على محورين كبيرين: من جهة محور الخطاب ذات خاصة بينيات الحجاج الموضوعية موضع التنفيذ، ومن جهة أخرى محور تأثير هذا الخطاب على المتلقي وذلك في علاقته بقصدية منتج الخطاب²³.
- ومما تجدر الإشارة له في نهاية هذا المقال وهو وإن كانت علاقة هذا اللون من البلاغة الحجاجية تطوّر بتطور التيار التبحري التقني لأنواع الخطاب الأدبي، والتي لم تبرز إلا في السنوات الأخيرة على المستويين التداولي وكيفية الإشارة هنا إلى أنّ لها الفضل الكبير في إبعاد الاعتبارات الفلسفية لكلمة بلاغة والإسهام في العودة إلى إثارة قضاياها الجوهرية من منظور أفاد منتطور معطيات المنطق الحديث وشارفاً وفق علوم الاتصال الجديدة وهذا يعدّ من أبرز إنجازاتها.

الهوامش والإحالات:

هوامش وإحالات المقال

- 1: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د/ط)، 1994م، ص 1
- 2: ابن جني أبو الفتح عثمان الخصاص، تح: عبد الحميد هداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ/2002م، ج1، ص:87.
- 3: كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات، تر: خالد الأشهب، مراجعة، قاسم البرسيم، المنظمة العربية للترجمة، بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، الحمراء، بيروت، لبنان، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أيلول (سبتمبر) 2014م، ص496.
- 4: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، شارع الملك حسين، عمان، ط1/2016م، ص9.
- 5: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، المغرب، أفريقيا للشرق، ط1، 1994م، ص7-8.
- 6: هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة وتعليق تقديم: محمد العمري، المغرب إفريقيا للشرق، 1999م، ص22.

- 7: أحمد حساني، المرجع السابق، ص 51.
- 8: بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة-قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع-قسنطينة، الجزائر، د/ط، 2018م، ص 54.
- 9: عبده عبد العزيز قليقطة: البلاغة العربية الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1991، 2م، ص 17.
- 10: عبد الرزاق بوعافية: المرجع السابق، ص 19.
- 11: ينظر: هناء عبد الرضا رحيم الربيعي: البلاغة الجديدة-مشروع التجديد المعاصر-ثوابت ومتغيرات-، مجلة الخطاب-جامعة البصرة-جمهورية العراق، المجلد 14، العدد 2، ص 11.
- 12: ينظر: هشام الربي، الحجاج عند أرسطو ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة من ص 49، إلى ص 89.
- 13: محمد سالم مجمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، الجمهورية العظمى، ط 1، حزيران 2008م، ص 175-176.
- 14: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط 2007، 2م، ص 27.
- 15: ينظر: بوعافية عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 15 و 25 إلى ص 51.
- 16: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة-سلسلة ثقافية شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، يناير 1978م، ص 65.
- 17: باتريك شارودو ترجمة: د-أحمد الوردني، الحجاج بين النظرية و الأسلوب-عن كتاب نحو المبني و المعنى- دار الكتاب الجديد المتحدة-ط 1-يونيو 2009م، ص 1.
- 18: جميل الحمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية وجديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، شبكة الألوكة-شبكة إلكترونية-، ص 4.
- 19: ينظر صلاح فضل: المرجع السابق، من ص 65، إلى ص 120. (بلاغة الخطاب)
- 20: جميل الحمداوي، المرجع السابق، ص 9.
- 21: المرجع نفسه، ص 9
- 22: المرجع، ص 24-26-27.
- 23: فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط 2011، 1م، ص 41.
- قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د/ط)، 1994م.
- 2- ابن جني أبو الفتح عثمان الخصائص، تح: عبد الحميد هداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1424هـ/2002م، ج 1.
- 3- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط 2007، 2م.
- 4- أحمد الوردني: الحجاج بين النظرية والأسلوب-تر: عن كتاب نحو المعنى والمبني لباتريك شارودو، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 2009، 1م، (غلاف الكتاب)
- 5- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، المغرب، أفريقيا الشرق، ط 1994، 1م.
- 6- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة وتعليق تقديم: مجدم العمري، المغرب إفريقيا الشرق، 1999م.
- 7- جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع -عمان- ط 2016، 1م.

- 8-محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط2013، م1.
- 9-رولان بارت: البلاغة اليونانية القديمة، ترجمة وتقديم:عبد الكريم الشرفاوي، نشر فنك اللغة العربية، المغرب العربي 1994م
- 10-الحسين بنو هاشم: بلاغة الحجاج، الأصول، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، 2104م.
- 11-: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة-سلسلة ثقافية شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، يناير 1978م.
- 12-بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية والبلاغات الجديدة-قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة، مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع-قسنطينة، الجزائر، د/ط، 2018م.
- 13-عبد ه عبد العزيز قليقطة: البلاغة العربية الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1991، م2.
- 14-جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، شارع الملك حسين، عمان، ط2016/1م.
- 15-كاتي ويلز، معجم الأسلوبيات، تر: خالد الأشهب، مراجعة، قاسم البرسيم، المنظمة العربية للترجمة، بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، الحمراء، بيروت، لبنان، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أيلول (سبتمبر) 2014م، ص496
- 16-هنا عبد الرضا رحيم الزبيعي: البلاغة الجديدة-مشروع التجديد المعاصر-ثوابت ومتغيرات-، مجلة الخطاب-جامعة البصرة-جمهورية العراق، المجلد14، العدد2.
- 17-هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة .
- 18-عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدر العربية، ليبيا نوتس، د/ط، 1977م.
- 19-جميل الحمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية وجديدة(نظرية الأنساق المتعددة)، شبكة الألوكة-شبكة إلكترونية-.
- 20-فيليب بروتون وجيل جوتيه: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط2011، م1.

المقالات باللغة الأجنبية:

- 1- DUCROT OSWALD "NOTE SUR L ARGUMENTATION ET L ACTE DE L ARGUMENTER" CAHIERS DE LINGUISTIQUE FRANCAISE,N-4,1982,.
- 2-Perlman Chaim et Luice Olbrechts Tyica "traité l'argumentation-la nouvelle rhétorique" préface de Mayer , 5 ème éditions, Editions, de l'université de BreXelles 1992,p5.
- 3-Ch. Perelman: Rhétorique et Philosophie, un article publié dans son livre: Le champ de l'argumentation, Presses Universitaires de Bruxelles, 1970, 219-227. Cet article Parue à l'origine dans les Etudes philosophiques, Paris, 1969,

